
بلادُ السّلام
الأساطير
دار
شهرزاد
ARABCOMICS.NET
ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net

الأساطير

بلادُ السّلام

الطبعة الثالثة

نيسان (ابريل) ١٩٨٢

دارُ شهرزاد

الإِخوَة الثَّلاثَة

في قَديمِ الزَّمانِ كانَ النَّاسُ شُعوباً مُتفرِّقَةً ، تَفْصِلُ بَيْنَهُمُ المَسافاتُ الشَّاسِعَةُ ، أوِ الجِبالُ الشَّاهِقَةُ ، أوِ البِحارُ العَميقَة . وكانَ ثَلاثَةُ إِخوَةٍ يَعيشونَ مَعاً في قَصْرٍ مَبْنيٍّ عِنْدَ سَفْحِ سِلْسِلَةٍ مِنَ الجِبالِ العالِيَةِ جِدّاً بِحَيْثُ تَتَوارى قِمَمُها في الغُيوم . ما ارْتَقى إِلَيْها أَحَدٌ مِنَ النَّاس ، وما اجْتازَها إِنْسانٌ لِصُعوبَةِ مَسالِكِها وَوُعورَتِها . فَكانَتْ سَدّاً مَنيعاً بَيْنَ سُكّانِ القَصْرِ وَجِوارِهِ وَالبُلْدانِ الواقِعَةِ في الجَنوب . فَلا يَعْرِفونَ شَيْئاً عَنْ أَهْلِها ، وَطَبيعَةِ أَرْضِها .

أوراءَ السِّلْسِلَةِ سُهولٌ أَمْ صَحْراءُ أَمْ جِبالٌ أُخرى ؟

أَيُقيمُ فيها أُناسٌ مُتَمَدِّنونَ أَمْ شُعوبٌ مُتَوَحِّشَةٌ ؟

لَمْ يَذْكُرِ ٱلْقُدَماءُ عَنْها أَمْراً لِأَنَّ أَحَداً مِنْهُمْ لَمْ يَقْدِرْ عَلى ٱجْتِيازِ سِلْسِلَةِ ٱلْجِبالِ لِيُخْبِرَ بِما شاهَدَهُ هُناكَ .

كانَ ٱلْأَخَوانِ ٱلْأَكْبَرُ وَٱلْأَوْسَطُ يَعيشانِ راضِيَيْنِ في بَلَدِهِما وَقَصْرِهِما ، مَعَ أَنَّ ٱلشَّمْسَ لا تُشْرِقُ هُناكَ إِلّا ساعاتٍ مَعْدودَةً ، وَيُخَيِّمُ ٱلضَّبابُ في مُعْظَمِ فُصولِ ٱلسَّنَةِ ، وَيَشْتَدُّ ٱلْبَرْدُ ، وَتَكْثُرُ ٱلْأَمْطارُ ، وَتَتَساقَطُ ٱلثُّلوجُ فَتُغَطّي ٱلْأَرْضَ ثَمانِيَةَ أَشْهُرٍ مِنَ ٱلسَّنَةِ . وَكانا بِٱلْإِضافَةِ إِلى ذٰلِكَ كَبيرَيِ ٱلْقامَةِ ، ماهِرَيْنِ في ٱلْفُروسِيَّةِ وَٱلْمُصارَعَةِ ، يُحِبّانِ ٱلصَّيْدَ وَٱلْحَرْبَ وَٱلْمَآكِلَ وَٱلْمَشارِبَ .

أَمّا ٱلْأَخُ ٱلْأَصْغَرُ فَلَمْ يَكُنْ في قُوَّةِ أَخَوَيْهِ وَبَأْسِهِما ، بَلْ كانَ نَحيفاً ، رَهيفَ ٱلْحِسِّ ، جاهِلاً في شُؤُونِ ٱلسِّلاحِ

وَٱسْتِعْمالِهِ ، يَمْقُتُ ٱلْحَرْبَ ، وَلا يَتَحَمَّلُ رُكوبَ ٱلْخَيْلِ ، وَلا يُشارِكُ في نُزُهاتِ ٱلصَّيْدِ إِلّا مُكْرَهاً ، لِأَنَّ نَفْسَهُ تَتَقَزَّزُ مِنْ قَتْلِ ٱلْحَيَواناتِ بِلا سَبَبٍ ، وَيُفَضِّلُ أَحياناً عَلى ٱللُّحومِ تَناوُلَ ٱلْفَواكِهِ وَٱلْخُضَرِ . وَلِذٰلِكَ أَطْلَقَ عَلَيْهِ أَخَواهُ وَجيرانُهُ ٱسْمَ مُسالِم ، تَدْليلاً عَلى خُلُقِهِ وَتَصَرُّفِهِ .

هَدايا ٱلنّاسِك

عاشَ ٱلْأَخُ ٱلْأَصْغَرُ في ٱلْقَصْرِ مَنْسِيًّا ، لا يُعْنى أَحَدٌ بِشَأْنِهِ ، في حينِ أَنَّ أَخَوَيْهِ يَسْتَرْعِيانِ ٱنْتِباهَ ٱلنّاسِ بِأَعْمالِهِما وَبَسالَتِهِما ، لِذٰلِكَ فَكَّرَ في ٱلْقِيامِ بِمُغامَرَةٍ يَتَحَدَّثُ بِها ٱلنّاسُ ، وَلا يَكونُ لَها مَثيلٌ في ٱلتّاريخ . فَقَدْ أَزْمَعَ عَلى ٱجْتِيازِ سِلْسِلَةِ ٱلْجِبالِ لِيَكْتَشِفَ ٱلْبُلْدانَ ٱلْواقِعَةَ وَراءَها ، وَقالَ في نَفْسِهِ :

ــ إذا تحققت رغبتي ، ونجحت حيث أخفق كلُّ من تقدّمني من المغامرين الأبطال أصبح موضوع إعجاب في بلدي ، وينتشر اسمي على كلّ لسان . وإذا أخفقتُ ، ومتُّ في طريقي جوعاً أو تعباً أو برداً ، أو افترسني حيوانٌ ، أو سقطتُ في هاويةٍ لا قرار لها ، لا أحد يحزنُ عليّ ما خلا مربّيتي المسكينة ، فإنّها وحدها تحتفظ لي في قلبها بعاطفةٍ رقيقة .

لم يُخبِرْ مسالمٌ أحداً بما نوى عليه إلّا مربّيته ، فأخذت تنوح وتبكي لتثنيَه عن عزمِه ، وعن تعريضِ نفسِه لهلاكٍ أكيد . وتذكُرُ له أخبار كلّ الذين حاولوا ، من قبلُ ، تسلّق سلسلةِ الجبال والقيام بالمغامرةِ الرهيبة ، وانقطعت أخبارُهم ، مؤكّدةً له أنّه مُقدِمٌ على عمليّةِ انتحارٍ لا شكّ فيها .



لَمَّا رَأَتْ إِصرارَهُ وَعِنادَهُ ، قادَتْهُ إِلى ناسِكٍ تَعْرِفُهُ ، وَعَرَضَتْ عَلَيْهِ ٱلأَمْرَ . وَكانَ ٱلرَّجُلُ مُتَزَهِّداً مُنْقَطِعاً عَنِ ٱلعالَمِ في إِحْدى ٱلمَغاوِرِ ، وَهُوَ مُطَّلِعٌ عَلى عُلومٍ سِحْرِيَّةٍ غَريبَةٍ ، فَأَعْطى ٱلفَتى ثَلاثَةَ أَشْياءَ ، هِيَ : سِكِّينٌ عَجيبٌ في تَأْثيرِهِ ، وَحَجَرٌ بَرّاقٌ مَوْضوعٌ في عُلْبَةٍ ، فَإِذا أُخْرِجَ مِنْها شَعَّ فَحَوَّلَ ٱلظَّلامَ نوراً ساطِعاً ، وَقِرْبَةٌ مَليئَةٌ بِشَرابٍ يَشْفي ٱلجُروحَ ، وَيُعيدُ ٱلقُوَّةَ إِلى مَنْ يَشْرَبُ مِنْهُ . فَشَكَرَ مُسالِمٌ لِلنّاسِكِ هَداياهُ ، وَوَدَّعَ مُرَبِّيَتَهُ ، وَخَرَجَ مِنَ ٱلقَصْرِ مُصْطَحِباً شَيْئاً مِنَ ٱلمَؤُونَةِ في طَريقِهِ .

بَقايا ٱلمُغامِرين

صَعِدَ في ٱلجَبَلِ ، وَكانَتِ ٱلطَّريقُ تَمْتَدُّ أَمامَهُ كُلَّما

تَقَدَّم . وَفي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّالِثِ تَوَقَّفَ قَليلاً عَنِ ٱلسَّيْرِ وَنَظَرَ وَرَاءَهُ فَأَبْصَرَ ٱلْقَصْرَ ظاهِراً لِلْعِيانِ وَلٰكِنَّهُ بَدا صَغيراً لِبُعْدِهِ . ثُمَّ تابَعَ ٱلْمَسيرَ ، مُفَتِّشاً عَنْ مَجازٍ يَمُرُّ فيهِ لِيَصِلَ إلى ٱلْجانِبِ ٱلْآخَرِ فَلَمْ يُوَفَّقْ في مُحاوَلَتِهِ . وَبَدا لَهُ تَسَلُّقُ ٱلْقِمَّةِ مُعْجِزاً لِأَنَّهُ ٱصْطَدَمَ بِحاجِزٍ صَخْرِيٍّ مالِسٍ يَسْتَحيلُ ٱجْتِيازُهُ كَأَنَّهُ قَلْعَةٌ مَنيعَةٌ .

أَخَذَ ٱلْبَرْدُ يَشْتَدُّ ساعَةً بَعْدَ ساعَةٍ ، وَأَوْشَكَ زادُهُ عَلى ٱلنَّفادِ . وَأَحَسَّ بِتَعَبٍ شَديدٍ يُقَيِّدُ خُطُواتِهِ ، وَمَعَ ذٰلِكَ فَقَدْ ثابَرَ عَلى ٱلتَّقَدُّمِ نَحْوَ غايَتِهِ . وَكانَ ٱلْحاجِزُ ٱلصَّخْرِيُّ يَصُدُّهُ في كُلِّ مُحاوَلَةٍ ، فَلا يَعْثُرُ فيهِ عَلى مَنْفَذٍ إلى ٱلْجانِبِ ٱلْآخَرِ . وَلِأَوَّلِ مَرَّةٍ أَحَسَّ مُسالِمٍ بِٱلْعَجْزِ ، وَكادَ ٱلْيَأْسُ يَتَسَرَّبُ إلى قَلْبِهِ ، وَقَدْ نَفِدَ طَعامُهُ ، وَبَدَأَ ٱللَّيْلُ يَزْحَفُ بِظُلْمَتِهِ ٱلْكَثيفَةِ . وَفيما هُوَ يَتَلَمَّسُ طَريقَهُ



قُرْبَ ٱلصَّخْرِ عَثَرَ عَلى بَقايا مُخَيَّمٍ ، وَبَضائِعَ مُمَزَّقَـةٍ وَمَنْثورَةٍ ، وَعِظامِ جُثَثٍ ، هِيَ بِلا شَكٍّ مِنْ آثارِ ٱلَّذين جاءوا مِنْ قَبْلُ وَٱصْطَدَموا بِهٰذا ٱلْحاجِزِ وَأَدْرَكَهُمْ عِنْدَهُ ٱلْجوعُ وَٱلتَّعَبُ وَٱلْبَرْدُ فَماتوا وَما بَلَغوا غايَتَهُمْ ، فَقالَ في نَفْسِه :

ـــ قَدْ يَكونُ مَصيري كَمَصيرِ هٰؤُلاءِ ٱلنَّاسِ ٱلَّذينَ طَمَحوا إلى كَشْفِ حَقيقَةِ ما وَراءِ سِلْسِلَةِ ٱلْجِبالِ فَكانَتِ ٱلنَّتيجَةُ تَحَوُّلَهُمْ إلى عِظامٍ مُحَطَّمَةٍ مُشَتَّتَة .

جِدارُ ٱلْمَغارَة

بَيْنَا هُـوَ في تَفْكيرِهِ أَبْصَرَ بِنَسْرَيْنِ كَبيرَيْنِ يَقْتَتِلانِ فَوْقَ رَأْسِهِ ٱقْتِتالاً عَنيفاً ضارِياً ، وَإِذا بِأَحَدِهِما يَسْقُطُ أَمامَهُ جَريحاً ، وَبِٱلْآخَرِ يُتابِعُ هُجومَهُ لِيُجْهِـزَ عَلَيْهِ ،

فَقَفَزَ مُسالِمٍ نَحْوَهُ وَفي يَـــدِهِ سِكِّينُهُ ، فَتَوارى ٱلنَّسْرُ ٱلْمُنْتَصِرُ هارِباً قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَـهُ ٱلْفَتى . وَدَنا مِنَ ٱلنَّسْرِ ٱلْجَريحِ ، فَخافَ مِنْهُ أَوَّلَ ٱلْأَمْرِ ، ثُمَّ ٱطْمَأَنَّ إِلَيْهِ بَعْدَ أَنْ تَرَفَّقَ مُسالِمٌ في مُعامَلَتِهِ ، فَسَكَبَ عَلى جِراحِهِ قَطَراتٍ مِنَ ٱلسّائِلِ ٱلسِّحْرِيِّ فَبَرِئَتْ لِساعَتِها ، وَٱسْتَعادَ ٱلطّائِـــرُ نَشاطَهُ وَصَفَّقَ بِجَناحَيْهِ وَحَلَّقَ في ٱلْفَضاءِ .

اشْتَدَّ ٱلظَّلامُ ، وَقَرَسَ ٱلْبَرْدُ ، فَلَجَأَ ٱلْفَتى إِلى حُفْرَةٍ صَخْرِيَّةٍ ضَيِّقَةٍ ، لا يَتَيَسَّرُ ٱلدُّخولُ إِلَيْها إِلّا بِعَناءٍ شَديد . وَلَمّا ٱسْتَقَرَّ فيها أَخْرَجَ ٱلْحَجَرَ ٱلسِّحْرِيَّ مِنْ عُلْبَتِهِ فَأَخَذَ يَتَأَلَّقُ كَقِطْعَـــةٍ مِنَ ٱلشَّمْس . وَعَلى ٱلنّورِ ٱلسّاطِعِ لاحَظَ ٱلْفَتى مَجْموعَةً مِنَ ٱلْحَشَراتِ أَقْلَقَها مَجيئُـهُ فَأَخَذَتْ تَهْرُبُ مِنَ ٱلْحُفْـرَةِ . وَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ بَعْضاً مِنْها يَتَوَجَّهُ نَحْـــوَ ٱلدّاخِلِ ، فَأَرْسَلَ ٱلضَّوْءَ إِلى ٱلْمَنْفَذِ ٱلَّذي تَهْرُبُ مِنْهُ فَرَأى

أَمامَهُ مَغارَةً عَميقَةً جِدًّا . فَزَحَفَ عَلى بَطْنِهِ إِلى أَنْ بَلَغَها ، فَمَشى فيها وَهُوَ يُفَتِّشُ عَنْ مَخْرَجٍ لَهـا . غَيْرَ أَنَّ جِداراً صَخْرِيّاً كانَ يَسُدُّها سَدًّا مُحْكَماً مِنْ كُلِّ ٱلْجَوانِبِ . وَلَمّا تَفَحَّصَ ٱلْجِدارَ عَنْ قُرْبٍ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ حِجارَتَـهُ لَيْسَتْ طَبيعِيَّةً في رَصْفِها ، بَلْ هِيَ مُؤَلَّفَةٌ مِنْ قِطَعٍ كَبيرَةٍ ، مُرَتَّبٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْض . فَهِيَ إِذاً مِنْ صُنْعِ ٱلْإِنْسان .

أَخْرَجَ سِكّينَهُ وَأَخَذَ يَحْفِـرُ في ٱلْحِجارَةِ فَٱتَّضَحَ لَهُ أَنَّ لِلسِّكّينِ فِعْلاً سِحْرِيّاً ، فَما يَكادُ يَمَسُّ ٱلْحَجَـرَ حَتّى يَتَقَطَّعَ وَيَتَفَتَّتَ كَأَنَّهُ مِنَ ٱلْكِلْسِ ٱلْجافِّ ، وَيَتَهاوى أَمامَ قَدَمَيْهِ إِذا ما شَدَّهُ بِيَدِهِ .

نِهايَةُ ٱلنَّفَقِ

هَدَمَ مُسالِمٌ ٱلْجِدارَ ، فَوَجَدَ نَفْسَهُ في بِدايَةِ رُواقٍ

طويلٍ ، لا يُرى آخِرُهُ ، وأَحسَّ بنفحةِ هواءٍ تَهُبُّ على وَجْهِهِ ، فَامتلأَ قلبُهُ أملاً ، وسارَ قُدُماً فيهِ ، لا يَرْتاحُ مِنْ عنائِهِ إلّا قليلاً .

سارَ في بدايةِ ٱلْأَمرِ حَذِراً مُتباطِئاً ، لا يُصادِفُ في طريقِهِ أيَّةَ عقبةٍ . ثُمَّ أَسْرَعَ في مَشْيِهِ ساعاتٍ ، وأيّاماً ، لا يَعْرِفُ عدَدَها . فلا ٱلشَّمسُ تطْلُعُ عليْهِ ولا ٱللَّيلُ يُدْرِكُهُ ، لِأَنَّ ٱلْحَجَرَ ٱلسِّحْرِيَّ يُحوِّلُ ٱلظُّلْمَةَ إلى صُبْحٍ دائِمِ ٱلْإِشْراقِ . بَدا لَهُ أَنَّ ٱلنَّفَقَ لا يَنْتَهي ، وأَنَّهُ يغوصُ في قَلْبِ ٱلْجَبَلِ إلى ما لا نِهايَةَ له . وكانَ يَتَوَقَّفُ مِنْ وَقْتٍ إلى آخرَ ، وَيَشْرَبُ قَطَراتٍ مِنَ ٱلسّائِلِ ٱلْعَجيبِ فيُجَدِّدُ قُواهُ ، حتّى وَصَلَ إلى مُنْحنًى في ٱلنَّفَقِ ما تجاوَزَهُ حتّى رأى أمامَهُ بُحَيْرَةً شفّافَةَ ٱلمِياهِ ، تَتَدلّى مِنْ سَقْفِها مُقَرْنَصاتٌ كَاللُّؤْلُؤِ في بَياضِها ، وَتَلْتَفُّ حَوْلَ ٱلْبُحَيْرَةِ

طَريقٌ تُؤَدّي إلى ٱلضِّفَّةِ ٱلثّانِيَةِ . وَبَدا لَهُ أَنَّ هٰذِهِ ٱلطَّريقَ مِنْ صُنْعِ ٱلْإِنْسانِ مُنْذُ قَديمِ ٱلزَّمانِ . وَكانَ سالِمٌ يَعْجَبُ لِهٰذِهِ ٱلْبُحَيْرَةِ ٱلْكَبيرَةِ في وَسَطِ ٱلنَّفَقِ ، وَيُحِسُّ بِتَعَبٍ شَديدٍ وَبِجوعٍ أَشَدَّ ، وَرُكْبَتاهُ تَرْتَجِفانِ ، وَثِيابُهُ ٱلْمُبَلَّلَةُ مِنَ ٱلرُّطوبَةِ تَلْتَصِقُ بِجِسْمِهِ وَتَجَمَّدُ عُروقُهُ مِنْ أَعْلى رَأْسِهِ إِلى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ . وَما جَرُؤَ عَلى ٱبْتِلاعِ ما تَبَقّى مِنَ ٱلشَّرابِ ٱلسِّحْرِيِّ ، بَعْدَ أَنْ قارَبَ ٱلنَّفادَ وَضَعُفَ بَريقُ ٱلْحَجَرِ لِكَثْرَةِ ٱسْتِعْمالِهِ . وَمِنْ حُسْنِ حَظِّهِ أَنَّ أَرْضَ ٱلنَّفَقِ كانَتْ مُنْحَدِرَةً ، فَتابَعَ سَيْرَهُ إِلى أَنْ وَصَلَ إِلى بابٍ كَبيرٍ هُوَ نِهايَةُ ٱلطَّريقِ .

تَفَحَّصَ مَعالِمَ ٱلْبابِ فَوَجَدَهُ قَديماً جِدّاً ، مُتَهَرِّئَ ٱلْخَشَبِ ، قَدْ تَأَكَّلَهُ ٱلسّوسُ ، فَما صادَفَ عَناءً في تَحْطيمِ قُفْلِهِ . فَلَمّا ٱنْفَتَحَ أَمامَهُ وَقَعَ بَصَرُهُ عَلى أَعْشابٍ خَضْراءَ

مُلْتَفَّةٍ فَأَبْعَدَها مِنْ طَريقِهِ ، وَتَقَدَّمَ قَليلاً فَإِذا هُوَ في إِحْدى ٱلْغابات .

كانَ ٱلْجَوُّ رائِقاً وَحارًّا ، وَٱلزُّهورُ تَمْلأُ ٱلْحُقولَ ، وَٱلطُّيورُ تُغَرِّدُ بِأَشْجى أَلْحانِها ، وَٱلْغِزْلانُ تَرْعى آمِنَةً ، فَلا تَنْفُرُ مِنْ رُؤْيَتِه . وَكانَ ٱلتَّعَبُ وَٱلْجوعُ قَدِ ٱشْتَدّا عَلَيْهِ ، وَبَهَرَ نَظَرَهُ نورُ ٱلشَّمْسِ فَٱنْهارَ عَلى ٱلْأَرْضِ ، تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ ، مَغْشِيًّا عَلَيْه .

شَعْب جَديد

لَمَّا ٱسْتَيْقَظَ ظَنَّ أَنَّهُ قَدِ ٱنْقَضى عَلى رُقادِهِ لَيالٍ كَثيرَةٌ ، فَقامَ وَمَشى عائِداً إِلى ٱلْبابِ ٱلْكَبيرِ ، فَلَمْ يَجِدْ لَهُ أَثَراً لِأَنَّ ٱلْأَعْشابَ أَخْفَتْهُ ، فَرَجَعَ إِلى ٱلْغابَةِ وَٱجْتازَها حَتّى ٱنْتَهى مِنْها إِلى بَلَدٍ لَمْ يَرَ في حَياتِهِ مَثيلاً لَهُ في جَمالِهِ .



أبصرَ حقولاً ملأى بالسَّنابلِ ، وبساتينَ مثقلةً بالثمارِ ، ومروجاً خضراءَ ، وجداولَ تجري فتروي الأرضَ حولَها. وسارَ إلى جانبِ حقلٍ فرأى النَّاسَ منصرفينَ إلى أعمالِهمْ باجتهادٍ . فما وقعَ نظرُهمْ عليهِ حتّى عرفوا أنَّهُ رجلٌ غريبٌ . فهوَ أكبرُ منهُمْ جسماً وعيناهُ زرقاوانِ ، وشعرُهُ أشقرُ . فذهبوا بهِ إلى مجلسِ شيوخِهمُ الَّذينَ يحكمونَ البلدَ . وكانوا يتكلّمونَ لغةً لا يفهمُ منها مسالمُ كلمةً واحدةً ، ولكنَّهمْ أدركوا أنَّهُ جائعٌ ، فقدّموا لهُ طعاماً مؤلَّفاً منَ الخبزِ والخضرِ والبيضِ والجبنِ . وبعدَ أنْ شبعَ أخذَ يتفحَّصُ ما حولَهُ منْ مشاهدَ ، ومنْ عاداتٍ في تصرُّفِ السُّكّانِ . فأدهشَهُ لأوّلِ وهلةٍ ما تبيَّنَهُ منْ عذوبةِ الجوّ . فما عرفَ في بلادِهِ هواءً دافئاً مثلَ هوائِهمْ ، وما رأى مثلَ هذا البلدِ في الخصبِ . ولاحظَ

أنَّ ٱلسُّكَّانَ مُسالِمونَ طَيِّبونَ . يَرْتَدي ٱلْمُشْتَغِلونَ في ٱلْحُقولِ ثِياباً خَضْراءَ وَٱلْعُمّالُ في ٱلْمَحارِفِ وَٱلْمَصانِعِ أَرْدِيَــةً زَرْقاءَ ، وَٱلنِّساءُ يَلْبِسْنَ فَساتينَ طَويلَةً بَيْضاءَ . وَيُشْرِفُ عَلى ٱلْأَمْنِ وَٱلْعَدْلِ في ٱلْبَلَـدِ مَجْلِسٌ مِنَ ٱلْمُسِنّينَ . وَكُلُّ ٱلْمُواطِنـينَ يَعيشونَ حَياةً هانِئَةً سَعيدَةً .

سِرُّ ٱلنَّفَقِ

أَصْدَرَ ٱلشُّيوخُ أَمْرَهُمْ بِأَنْ يُعامَلَ ٱلْغَريبُ مُعامَلَةً حَسَنَةً . فَأَعْطَوْهُ مَنْزِلاً في وَسَطِ حَقْلٍ ، وَأَلْحَقوا بِهِ خادِماً يُساعِدُهُ في شُؤونِ بَيْتِهِ . فَإِذا حـانَ وَقْتُ ٱلطَّعامِ رَأى مائِدَتَهُ مَليئَةً بِٱلْخُضَرِ وَٱلْأَلْبانِ وَٱلْمُرَبَّياتِ ، وَلَيْسَ بَيْنَهـا شَيْءٌ مِنَ ٱللَّحْمِ لِأَنَّ هٰذا ٱلشَّعْبَ يَأْبى قَتْلَ ٱلْحَيَوانِ لِأَكْلِ لَحْمِهِ، لِذٰلِكَ كَثُرَتْ عِنْدَهُمُ ٱلْحَيَواناتُ عَلى مُخْتَلِفِ أَنْواعِها . وَكانَ

مُسالِمٍ يَقولُ في نَفْسِهِ :

— إنَّ حُلمي قَدْ تَحَقَّقَ في هذا ٱلبَلَدِ . فَهُوَ مَوْطِنُ ٱلْأَمانِ وَٱلسَّلامِ . فَلِمَ أَعودُ إلى بَلَدي حَيْثُ يَتَصَرَّفُ ٱلنَّاسُ بِقَسْوَةٍ وَفَظاظَة ؟ هُنا يَعيشُ ٱلسُّكّانُ مُتَحابّينَ ، لا يَصيدونَ وَلا يَتَقاتَلون .

قَرَّ رَأْيُهُ عَلى ٱلبَقاءِ في دارِ ٱلْغُرْبَةِ . وَأَخَذَ يَتَعَلَّمُ لُغَةَ أَهْلِ ٱلبِلادِ بادِلاً في ذلِكَ كُلَّ جُهْدِهِ وَذَكائِهِ لِيَتَفاهَمَ مَعَهُمْ ، وَلِيَعْرِفَ مِنْهُمْ سِرَّ ٱلرُّواقِ ٱلَّذي يَصِلُ عالَمَهُ وَراءَ ٱلْجِبالِ بِهذِهِ ٱلمِنْطَقَةِ ، وَلِيَرُدَّ بِدَوْرِهِ عَلى أَسْئِلَةِ ٱلشُّيوخِ ٱلَّذينَ يَشوقُهُمُ ٱلِاطِّلاعُ عَلى أَخْبارِ بِلادِهِ . وَلَمّا تَحَقَّقَتْ أُمْنِيَّتُهُ وَأَصْبَحَ قادِراً عَلى ٱلتَّفاهُمِ مَعَ مُضيفيهِ ذَهَبَ إلى زَعيمِهِمْ وَرَوى لَهُ حِكايَتَهُ مِنْ أَوَّلِها إلى آخِرِها ، وَٱلرَّجُلُ مُصْغٍ إلَيْهِ بِٱهْتِمامٍ كُلِّيٍّ . وَبَعْدَ أَنْ أَنْهى كَلامَهُ قالَ ٱلزَّعيمُ :

ـــ إِنَّ ٱلنَّفَقَ ٱلَّذي مَرَرْتَ بِهِ لِتَصِلَ إِلَيْنا قَدْ حَفَرَهُ مُنْذُ مِئاتِ ٱلسِّنينَ جُدودُنا ٱلَّذينَ كانوا يَعيشونَ قَديماً في ٱلْجانِبِ ٱلْآخَرِ مِنْ سِلْسِلَةِ ٱلْجِبالِ ، أَيْ حَيْثُ نَشَأْتَ أَنْتَ ، وَحَيْثُ يَعيشُ ٱلْآنَ أَخْواكَ . وَقَدْ أَقاموا هُناكَ في أَمانٍ وَٱطْمِئْنانٍ ، كَما تَرانا نَفْعَلُ هُنا ، إِلى أَنْ أَقْبَلَتْ قَبائِلُ غَريبَةٌ مُحارِبَةٌ ، قُساةُ ٱلْقُلوبِ ، هِيَ قَبائِلُكُمْ ، فَٱجْتاحَت ٱلبِلاد . فَقَرَّرَ جُدودُنا ٱلِٱنْسِحابَ إِلى هٰذِهِ ٱلْمِنْطَقَــةِ لِلْحِفاظِ عَلى حَياتِهِمْ ، فَحَفَروا ٱلنَّفَقَ وَٱحْتَفَظوا بِٱلسِّرِّ . وَٱلْآنَ بَعْدَ أَنِ ٱهْتَدَيْتَ إِلَيْهِ ، عَلَيْكَ بِٱلْبَقــاءِ مَعَنا لِئَلّا يَذيــعَ سِرُّنا وَيَنْكَشِفَ أَمْرُنا ، وَتُعْرَفَ ٱلطَّريقُ ٱلْمُؤَدِّيَةُ إِلَيْنا فَنَهْلَكَ . وَنَحْنُ نُعامِلُكَ كَواحِدٍ مِنّا ، نُزَوِّجُكَ مِنْ إِحْدى بَناتِنــا وَتَنْسى ٱلْماضي وَتُؤَسِّسُ بَيْنَنا أُسْرَةً ، وَتُرْزَقُ بِأَوْلاد .

حَيْرَةُ مُسالِم

لَمْ يُجِبْ مُسالِمٌ عَلى كَلامِ ٱلزَّعيمِ ، بَلْ ٱكْفَهَرَّتْ مَلامِحُ وَجْهِهِ ، وَبَدَتْ عَلَيْهِ ٱلْحَيْرَةُ ، فَٱنْصَرَفَ صامِتاً ، وَعادَ إِلى بَيْتِهِ وَٱسْتَقَرَّ فيهِ لا يُغادِرُه . وَأَخَذَ يُفَكِّرُ في أَمْرِهِ ، كَيْفَ أَنَّـهُ ، مِنَ ٱلْآنَ فَصاعِداً لا يُمْكِنُهُ مُغادَرَةُ هٰذا ٱلْبَلَدِ وَإِنْ أَصابَهُ ٱلْمَلَلُ فيهِ . وَهٰكَذا تَحَوَّلَ ٱلْفَتى مِنْ مُعْجَبٍ بِٱلْأَرْضِ وَسُكّانِها إِلى ناقِدٍ مُتَذَمِّرٍ يَقولُ لِمَنْ يُصادِفُهُ مِنَ ٱلْفَلّاحين :

ــ كَيْفَ تَدَعونَ ٱلْحَيَواناتِ سارِحَةً في حُقولِكُمْ فَتُفْسِدُ عَلَيْكُمُ ٱلْغِلال ؟ أَلا تُريدونَ إِهْلاكَ ٱلْأَرانِبِ وَٱلثَّعالِب ؟ إِنَّ أَمْرَكُمْ لَغَريبٌ حَقّاً ..

وَكانَ ٱلْفَلّاحونَ يَشْمَئِزّونَ مِنْ كَلامِهِ وَيُجيبون :

ــ نَعْرِفُ أَنَّكَ آتٍ مِنَ ٱلْجانِبِ ٱلْآخَرِ مِنْ سِلْسِلَةِ

ٱلْجِبالِ ، وَأَنَّكَ كُنْتَ تَأْكُلُ ٱلْحَيَواناتِ بَعْدَ قَتْلِها . وَلٰكِنَّنا لا نَسْمَحُ بِمِثْلِ هٰذا ٱلْعَمَـــلِ في أَرْضِنا ، وَسَنُحافِظُ على كُلِّ مَخْلوقٍ حَيٍّ عِنْدَنا وَإِنْ صَدَرَتْ مِنْهُ أَذِيَّة .

ٱلدّيكُ ٱلْمَشْوِيّ

جَرَّبَ مُسالِم مَرّاتِ ٱلْعُثورَ على بابِ ٱلنَّفَقِ بِلا جَدْوى . وَهُوَ وَإِنْ وَجَدَهُ لا يَجْرُؤُ على ٱجْتِيازِهِ لِأَنَّ ٱلْحَجَرَ ٱلسِّحْرِيَّ قَدْ فَقَدَ تَأَلُّقَهُ ، وَفَرَغَتْ قِرْبَةُ ٱلسّائِلِ ٱلْعَجيبِ . فَلَيْسَ في وُسْعِهِ إِذاً ٱلْقِيامُ بِرِحْلَةِ ٱلْعَوْدَة .

مَرَّتْ أَيّامٌ وَأَسابيعُ ، وَحانَ عيدُ رَأْسِ ٱلسَّنَةِ ، فَثارَتْ في نَفْسِهِ ذِكْرَياتٌ حُلْوَةٌ عَنْ بَلَدِهِ ، وَٱسْتَعــــادَ في مُخَيِّلَتِهِ حَفَلاتِ ٱلْغِناءِ وَٱلموسيقى ، وَٱلدُّيوكَ ٱلرُّومِيَّةَ ٱلْمَشْوِيَّةَ وَٱلْمَحْشُوَّةَ بِٱللَّوْزِ وَٱلْفُسْتُقِ وَٱلْأَرُزِّ ، وَسالَ رِيقُهُ تَشَوُّقاً إِلى ٱللَّحْمِ

ٱلْمَطْهُوِّ أَوِ ٱلْمَشْوِيِّ . وَفَكَّرَ بِأَنْ يَسْتَعِيضَ عَنْ كُلِّ ذٰلِكَ بِدَجَاجَةٍ . فَخَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ ، وَتَوَجَّهَ إِلى ٱلْغابَةِ ٱلْقَرِيبَةِ . وَكانَتِ ٱلْحَيَواناتُ تَسيرُ قُرْبَهُ ، وَٱلطُّيورُ تُحيطُ بِهِ مِنْ كُلِّ جانِبٍ لِأَنَّها لا تَخافُ مِنَ ٱلْإِنْسانِ . وَٱقْتَرَبَ مِنْهُ دِيكٌ روميٌّ بَرِّيٌّ فَقَبَضَ عَلَيْهِ وَذَبَحَهُ وَنَتَفَهُ وَجَوَّفَهُ وَأَنْفَذَ فيهِ سَيْفَهُ ، وَأَشْعَلَ ٱلنّارَ ، وَأَخَذَ يَشْويهِ وَهُوَ يَنْظُرُ حَوْلَهُ خَوْفاً مِنْ أَنْ يُفاجِئَهُ أَحَدٌ .

ما كادَ يَبْدَأُ بِتَناوُلِ طَعامِهِ ٱلشَّهِيِّ حَتّى سَمِعَ وَراءَهُ صَوْتاً ، فَٱلْتَفَتَ مَذْعوراً فَوَجَدَ ٱلنَّسْرَ ٱلَّذي شَفاهُ مِنْ جِراحِهِ قَريباً مِنْهُ وَهُوَ يَقولُ لَهُ :

ــ أَمْسَكْتُ بِكَ مُتَلَبِّساً بِٱلْجَريمَةِ . أَتَأْكُلُ دِيكاً روميّاً بَرِّيّاً ؟ بِما أَنَّكَ أَحْسَنْتَ إِلَيَّ لَنْ أَذْكُرَ عَنِ ٱلْأَمْرِ شَيْئاً

شرطَ أنْ تدَعني أشارِكَكَ في طَعامِكَ هذا ، فأنا في غايةِ الجوع .

رِحلة في الفَضاء

فيما هُما يأكُلانِ أخذَ مُسالِم يتذمَّرُ مِنَ الحَياة الَّتي يَعيشُها في هذهِ البِلادِ ، ويُصوِّرُها على غَيْرِ حقيقَتِها ، ويَتمنَّى العَوْدَةَ إلى مَوْطِنِهِ حَيثُ يَعيشُ أخَواهُ وأَصدِقاؤُهُ ، فقالَ لَهُ النَّسْرُ :

— إذا كُنْتَ مُزمِعاً عَلى الرُّجوعِ أنقُلُكَ إلى هُناكَ ، ولٰكِنَّكَ قَدْ تَموتُ بَرْداً عِنْدَما أعلو بِكَ لِأجتازَ القِمَمَ العالِيَة .

فَكَّرَ مُسالِم في الأمرِ ، وفي أفضَلِ الطُّرُقِ لِاجتِيازِ السِّلسِلَةِ الشَّاهِقَةِ ، واتَّفَقَ مَعَ النَّسرِ عَلى أنْ يَلتَقِيا في يَوْمٍ

آخرَ لِلقيامِ بِٱلرِّحلَة . ثُمَّ رَجعَ إلى ٱلمدينةِ وَطلَبَ مِنْ سَلّالٍ أَنْ يَصْنَعَ لَهُ سَلّاً كَبيراً مُبطّناً بِٱلقُطْنِ ، فَـإذا سَأَلَهُ أَحدُهُمْ عَنِ ٱلغايَةِ مِنْهُ قال :

ــ أَوَدُّ أَنْ أَرْبِطَهُ بَيْنَ شَجرَتَيْنِ عالِيَتَيْنِ وَأَتَّخِذَ مِنْـهُ أُرْجوحَةً أَنامُ فيها في ٱللَّيالي ٱلحارَّةِ ، على عادَةِ أَهْـلِ بِلادي في ٱلصَّيْف .

وَلَمّـا تَمَّ ٱتِّخاذُ ٱلعُدَّةِ ، ٱرْتَدى ثِيابَهُ ٱلصّوفِيَّـةَ ، وَحَمَلَ سَلَّهُ ٱلمَليءَ بِٱلأَغطِيَةِ وَتَوَجَّهَ إلى ٱلغابَةِ في ٱلمَوْعِـدِ ٱلمُعَيَّنِ . وَهُناكَ تَمَدَّدَ في ٱلسَّلِّ ، فَحَمَلَهُ ٱلنَّسْرُ وَطارَ بِهِ . فَأَخذَ ٱلسَّلُّ في بِدايَةِ ٱلأَمْرِ يَتَأَرْجَحُ يَمينـاً وَيَساراً ، فَٱنْزَعَجَ مُسالِمٍ وَأَصابَهُ دُوارٌ شَديد . ثُمَّ هَدَأَتْ حَرَكَـةُ ٱلسَّلِّ ، فَسَلَّمَ أَمْرَهُ إلى اللهِ ، وَدَبَّ ٱلنُّعاسُ في أَجْفانِـهِ فَنـام .

عَوْدَةُ مُسالِم

اسْتَيقَظَ ٱلفَتى على ٱرْتِطامِهِ بِٱلأَرْضِ لِأَنَّ ٱلنَّسرَ ، بَعْدَ أَنْ تَعِبَ مِنَ ٱلطَّيرانِ ٱلطَّويلِ وَحَمْلِهِ ٱلثَّقيلِ ، نَزَلَ في ٱلجانِبِ ٱلآخَرِ مِنْ سِلْسِلَةِ ٱلْجِبالِ ، عِنْدَ ٱلجِدارِ ٱلصَّخْرِيِّ . وَكانَ ٱلفَجْرُ قَـــدْ بَدَأَ بِٱلطُّلوعِ ، فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ فَتَبَيَّنَ ٱلمَكانَ ٱلَّذي نَزَلَ فيهِ فَقالَ لِلنَّسْرِ :

ــ لِمَ تَوَقَّفْتَ هُنا ؟

أَجابَهُ :

ــ هٰذا أَقْصى مَكانٍ أَصِلُ إِلَيْهِ ، فَلَسْتُ أَجْرُؤُ عَلى ٱلذَّهابِ إِلى أَبْعَدَ مِنْهُ ، لِأَنَّ ٱلنَّاسَ في بِــلادِكَ ، إِذا رَأَوْني ، أَطْلَقوا عَلَيَّ سِهامَهُمْ ، وَطارَدوني . فَهُمْ مِنْ قَتَلَةِ ٱلحَيَواناتِ وَٱلطُّيورِ .

قالَ هٰذا وَٱنْطَلَقَ مُحَلِّقاً عائِداً مِنْ حَيْثُ جاءَ .

كانَ على مُسالِمٍ أنْ يَسيرَ عِدَّةَ أيّامٍ لِيَصِلَ إلى ٱلْقَصْرِ. وكانَتْ قُواهُ قَدْ ضَعُفَتْ ، وَجـاعَ وَعَطِشَ وَتَمَزَّقَتْ ثِيابُهُ ، وَمَعَ ذٰلِكَ ظَلَّ يَتَقَدَّمُ حَتّى وَصَلَ ذاتَ مَساءٍ إلى ٱلْقَصْرِ فَرَأى ٱلْبابَ ٱلْكَبيرَ قَدْ أُقْفِلَ ، فَدَقَّ عَلَيْهِ فَأَقْبَلَ أَحَدُ ٱلْحُرّاسِ وَفَتَحَهُ وَقالَ لَهُ :

ــ مَنْ أنتَ أيُّها الرَّجُل ؟

ــ أنا مُسالِمٌ ..

ــ لَسْتَ صادِقاً في قَوْلِكَ ، لِأَنَّ مُسالِماً قَدْ تُوُفِّيَ مُنْذُ ثَلاثِ سَنَوات .

تَحَيَّرَ في أمْرِهِ وَقالَ في نَفْسِه :

ــ إذا لَمْ يَعْرِفْني هٰذا الرَّجُلُ فَإنَّ أَخَوَيَّ أيْضاً قَدْ لا يَتَعَرَّفانِ إلَيَّ وَأُطْرَدُ مِنَ ٱلْقَصْرِ كَأَنَّني دَخيلٌ مُحْتال .

قالَ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ :

ـــ أنا مُسالِمٌ يا رَجُلُ وَأُريدُ ٱلدُّخولَ على أَخَوَيَّ .

وَلَمّا رَآهُ مُتَرَدِّداً حاوَلَ تَذَكُّرَ ٱسْمِهِ وَقالَ لَهُ :

ـــ أَنْتَ بَرْتان ، وَمِنْ عادَتِكَ ٱلاِضْطِرابُ في كُلِّ مُناسَبَة .
إِذْهَبْ وَقُلْ لِأَخَوَيَّ إِنّي قَدْ عُدْتُ مِنْ رِحْلَتي ٱلطَّويلَة .

اِجْتِماعُ ٱلشَّمْلِ

أَدْخَلَ ٱلْحارِسُ مُسالِماً إِلى ٱلْقَصْرِ ، وَبَيْنَما يَجْتازُ إِحْدى ٱلْقاعاتِ أَبْصَرَ نَفْسَهُ في ٱلْمِرْآةِ ، فَأَذْهَلَهُ ما رَآهُ مِنْ تَبَدُّلٍ في مَلامِحِ وَجْهِهِ . فَقَدِ ٱسْمَرَّ لَوْنُهُ ، وَنَحُلَ جِسْمُه . تابَعَ طَريقَهُ إِلى أَنْ وَصَلَ إِلى ٱلْقاعَةِ ٱلْكُبْرى حَيْثُ كانَ أَخَواهُ قاعِدَيْنِ مَعَ سَيِّدَتَيْنِ قُرْبَ ٱلْمِدْفَأَة . فَتَقَدَّمَ نَحْوَهُما ، وَلٰكِنَّهُما ظَلّا في مَكانِهِما لا يَتَحَرَّكانِ وَلا يَتَفَوَّهانِ بِكَلِمَةٍ ، وَقَدْ ظَهَرَ في نَظَراتِهِما ٱلاِسْتِهانَةُ بِٱلدَّخيلِ ٱلَّذي يُقْلِقُ عَلَيْهِما

راحتَهما . فما تمالَكَ نفسَهُ مِنَ ٱلصِّياح :

ــ أنا أخوكما مسالِم .. أتغيَّرتُ إلى هٰذهِ ٱلدَّرجةِ بحيثُ أصبحتُ غريباً عنكُما ؟ إنّي لَسعيدٌ بِٱلرُّجوعِ إليكُما .

ما سَمِعَ ٱلأخوانِ صوتَهُ وتبيّنا حركاتِهِ حتّى أدركا أنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلواقِفَ أمامَهما هُوَ حقًّا أخوهُما ، فعانَقاهُ ، ورحّبا بِهِ . وكانَ ٱلأخوانِ ٱلكبيرانِ قدْ تزوّجا بِٱلسيّدتينِ ٱللّتينِ في رِفقتِهما فأحسنَتا بدورِهما لِقاءهُ ، ورحّبتا بِهِ .

الاحتِفالُ بِعودَةِ ٱلغائِب

أمَرَ ٱلأخوانِ ، في ٱلغَدِ ، بمدِّ ٱلخِوانِ وإقامةِ مأدُبةٍ ٱحتِفاءً بعودَةِ ٱلغائِب . ودارَ ٱلحديثُ حولَ ٱلمُغامراتِ ٱلّتي عاشَها مُسالِم مُنذُ خروجِهِ مِنَ ٱلقصرِ إلى عودَتِهِ إليهِ. فروى لَهُمُ ٱلأحداثَ ٱلّتي صادَفَها ، وٱلعقباتِ ٱلّتي ٱعترَضتهُ ،

وَما شاهَدَهُ في ٱلْبِلادِ ٱلْواقِعَةِ ما وَراءَ سِلْسِلَةِ ٱلْجِبالِ . وَذَكَرَ ما عَرَفَهُ عَنْ أَخْلاقِ أَهْلِها وَعاداتِهِمْ ، وَطُرُقِ مُعامَلَتِهِمْ ، وَأَكْلِهِمْ وَشَرابِهِمْ ، وَكُلَّ ما ٱسْتَرْعى ٱنْتِباهَهُ هُناكَ . وَأَخْرَجَ مِنْ جُيوبِهِ بَعْضَ ٱلْأَدَواتِ ٱلْبَديعَةِ ٱلدَّقيقَةِ ٱلَّتي يَتَمَيَّزُ بِها مَهَرَةُ ٱلصُّنّاعِ ، فَأُعْجِبَ بِها ٱلْجَميعُ ، وَتَأَكَّدوا مِنْ أَنَّ سُكّانَ تِلْكَ ٱلْمِنْطَقَةِ مُتَحَضِّرونَ ، حاذِقونَ ، مُتَقَدِّمونَ في كَثيرٍ مِنْ عُلومِهِمْ وَشُؤونِهِمْ . وَلَمَسوا قُماشَ ٱلْأَثْوابِ ٱلَّتي يَرْتَديها مُسالِمٌ فَوَجَدوها ناعِمَةً ، جَميلَةَ ٱلرُّسومِ وَٱلنُّقوشِ .

رَدَّدَ ٱلْفَتى رِواياتِهِ مَرّاتٍ كَثيرَةً ذاكِراً ٱلثَّرَواتِ ٱلَّتي يَنْعَمُ بِها أَهْلُ ٱلْبِلادِ . وَكانَ ٱلْجَميعُ يُحيطونَ بِهِ ، وَيُعْنَوْنَ بِشُؤونِهِ ، وَيَسْتَمِعونَ إِلى كَلِماتِهِ كَأَنَّهُ يَنْطِقُ بِٱلدُّرَرِ ٱلْغالِيَةِ . فَٱلْكُلُّ مُعْجَبٌ بِهِ وَبِشَجاعَتِهِ ، وَبِغَزارَةِ

مَعْرِفَتِهِ ، وبِخِبْرَتِهِ في ٱلْحَياةِ . فَهُوَ ٱلْآنَ رَجُلٌ آخَرُ ، يَخْتَلِفُ كُلَّ ٱلْاخْتِلافِ عَنْ مُسالِمٍ ٱلَّذي هَجَرَ ٱلْقَصْرَ مُنْذُ ثَلاثِ سَنَوات .

فِكْرَةُ ٱلْغَزْوِ

غَمَرَ ٱلْفَرَحُ قَلْبَهُ في ٱلْأَيّامِ ٱلْأُولى لِعَوْدَتِه . فَقَدْ نَعِمَ بِقُرْبِ أَخَوَيْهِ وَزَوْجَتَيْهِما ، وَأَصْدِقائِهِ وَبَنِيهِ . غَيْرَ أَنَّ هٰذِهِ ٱلسَّعادَةَ لَمْ تَطُلْ . فَقَدْ عادَتْ إِلَيْهِ أَفْكارُهُ ٱلسّابِقَةُ ، وَتَسَرَّبَ ٱلْمَلَلُ إِلى قَلْبِهِ وَأَثارَ غَضَبَهُ ما يَقَعُ عَلَيْهِ نَظَرُهُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ مَظاهِرِ ٱلْقَسْوَةِ وَٱلشَّراسَةِ في تَصَرُّفِ مُواطِنيه . فَهُمْ دائِماً في خِصامٍ وَقِتالٍ وَصَيْدٍ وَشَرابٍ وَمَآدِبَ . وَكانَ يَعودُ إِلى نَفْسِهِ فَيَقول :

— أَيْنَ هٰؤُلاءِ مِنَ ٱلنّاسِ ٱلَّذينَ عَرَفْتُهُمْ هُناكَ ؟ إِنَّ

قَلْبِي مُمَزَّقٌ بَيْنَ أَهْلِ وَطَنِي وَسُكَّانِ تِلْكَ ٱلْبِلاد . فَلَسْتُ أُطِيقُ فِراقَ أَرْضِي ، وَلَسْتُ أَتَحَمَّلُ عاداتِ أَهْلِها .

جاءَهُ أَخُوهُ ٱلْأَوْسَطُ يَوْماً وَقالَ لَهُ :

ـ إِنَّ حَدِيثَكَ عَنْ بِلادِ ما وَراءَ ٱلْجِبالِ وَطِيبِ مُناخِها ، وَخِصْبِ أَرْضِها وَمُسالَمَةِ سُكَّانِها لَعَجِيب . وَأَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّ أَخانا ٱلْأَكْبَرَ هُوَ ٱلْوَرِيثُ ٱلْوَحِيدُ لِكُلِّ ما خَلَّفَ وَالِدُنا لِأَنَّهُ ٱلِٱبْنُ ٱلْبِكْر . وَأَنا وَأَنْتَ مُعْدَمانِ ، قَدْ يُخْرِجُنا مِنَ ٱلْقَصْرِ فَلا نَجِدُ ما نَعِيشُ بِهِ . وَلا أَمَلَ لَنا فِي هٰذِهِ ٱلْبِلادِ ، لِذٰلِكَ فَكَّرْتُ بِغَزْوِ بِلادِ جِيرانِنا فَأَتَوَلَّى فِيها ٱلْمُلْكَ وَأَتَّخِذُ مِنْكَ وَزِيراً لِي ، إِذا رَضِيتَ بِأَنْ تَكُونَ ٱلدَّلِيلَ فِي ٱلْحَمْلَة .

رَفْضُ مُسالِم

ذُهِلَ مُسالِمٌ مِنْ كَلامِ أَخِيهِ ، وَأَدْرَكَ ٱلْخَطَرَ ٱلَّذِي



يَتَعَرَّضُ لَهُ مَعَ رِجالِهِ إذا نَفَّذَ عَزْمَه . وَتَأَكَّدَ عِنْدَئِذٍ مِنْ حِكْمَةِ الشُّيوخِ ٱلَّذينَ يَتَوَلَّوْنَ ٱلمَسْؤُولِيَّةَ هُناكَ وَيُحافِظونَ عَلى سِرِّيَّةِ ٱلنَّفَقِ ٱلمُؤَدّي إلَيْهِم . وَنَدِمَ عَلى ما أَفْشاهُ مِنْ خَفايا ٱلأَسْرارِ ، وَوَدَّ مِنْ صَميمِ قَلْبِهِ لَوْ أَنَّهُ قادِرٌ عَلى رَدِّ كُلِّ كَلِمَةٍ فاهَ بِها . وَقالَ في نَفْسِهِ :

— أَيُّ شَرٍّ سَبَّبْتُهُ لِهؤُلاءِ ٱلنّاسِ ٱلصّالِحينَ ٱلطَّيِّبينَ ٱلَّذينَ أَنْزَلوني بَيْنَهُمْ كَأَنّي واحِدٌ مِنْهُم ؟ وَأَيُّ بَلاءٍ يَنْتَظِرُهُمْ مِنْ جَرّاءِ ثَرْثَرَتي ؟ لَقَدْ عاشوا آمِنينَ ، مُسالِمينَ فَجِئْتُ أَنا وَكَشَفْتُ عَنْ نُقْطَةِ ٱلضَّعْفِ فيهِمْ ، وَعَرَّضْتُهُمْ لِلْهَلاكِ ، وَبِذلِكَ أَكونُ قَدْ قابَلْتُ ٱلخَيْرَ بِٱلشَّرِّ .

تَأَفَّفَ ٱلأَخُ ٱلأَوْسَطُ مِنْ صَمْتِ أَخيهِ وَتَأَخُّرِهِ في ٱلجَوابِ ، فَقالَ :

ـ لِمَ لا تتكلّم ؟ لِمَ لا تَشكُرُني على ما أبْدَيْتُهُ نَحْوَكَ مِنْ كَرَم ؟ أنا أفكِّرُ بِمستقبَلي وَمُستَقبَلِكَ معاً . مُساعَدَتُكَ ضَرورِيّةٌ يا أخي .. تقودُنا في ٱلْجَبَلِ وَتُساعِدُنا في ٱلعُثورِ على ٱلْمَمَرِّ وَنستَفيدُ مِنْ سِكّينِكَ ٱلسِّحْرِيّ .

قالَ مُسالِم :

ـ لَنْ أكونَ لَكَ عَوناً في تَدميرِ تِلْكَ ٱلبِلادِ ٱلْآمِنَةِ ، وَإشاعَةِ ٱلْخَرابِ في مُدُنِها وَقُراها وَحُقولِها ، لِأَنَّ سُكّانَها كانوا لي أصدِقاءَ مُخْلِصينَ وَمُحِبّينَ .

ـ بِئْسَ ما تَقول .. في وُسْعِنا ٱلِاسْتِغْناءُ عَنْ خَدَماتِكَ ، وَلَنْ تَنالَ مِنْ فُتوحاتِنا شِبْراً مِنَ ٱلْأَرْضِ . مِنَ ٱلْآنَ فَصاعِداً لَنْ أعتَبِرَكَ أخاً لي ، بَلْ أنظُرُ إلَيْكَ نِظْرَتي إلى عَدُوّ .

قالَ هذا وَخرجَ غيْرَ مُودِّعٍ ، وَصفقَ ٱلبابَ خلْفَهُ بِعُنْفٍ ، وَظَلَّ مُسالِم وَحْدَهُ خافِقَ ٱلقلْبِ ، يائِساً ، ناقِماً عَلى نَفْسِهِ وَطولِ لِسانِه . وَخافَ أنْ يَعْثروا عَلى سِكّينِهِ فَأَخذَهُ وَذَهبَ إلى ٱلنَّهْرِ وَأَلقاهُ فيه .

إخْفاق ٱلغَزْوَة

صَدرَ ٱلأَمْرُ بِتنْفيذِ ٱلحَمْلَةِ بَعْدَ مُوافَقَةِ ٱلأَخِ ٱلأَكْبَرِ وَزَوْجَتِهِ عَلَيْها . وَرَأى مُسالِم مِنْ نافِذَتِهِ مِئاتٍ مِنَ ٱلرِّجالِ ٱلمُسَلَّحينَ يَمُرّونَ أَمامَهُ ، يُغَنّونَ أَناشيدَ ٱلحَرْبِ ، وَكُلٌّ مِنْهُمْ يُمَنّي ٱلنَّفْسَ بِالحُصولِ عَلى ٱلغَنائِمِ ، وَٱلعَوْدَةِ بِثَرْوَةٍ . وَكانوا يَتبارَوْنَ في ٱصْطِحابِ أَفْتَكِ ٱلأَسْلِحَةِ ، وَيَتحَدَّثونَ عَنِ ٱلقَتْلِ وَٱلِاغْتِيالِ وَٱلتَّدْميرِ كَأَنَّهُمْ يَتحَدَّثونَ عَنْ نُزْهَةٍ في ٱلحُقولِ . وَأَخذَ مُسالِم يَقولُ في نَفْسِه :

ـ أَلَسْتُ أنا ٱلمَسْؤولَ عَنْ كُلِّ ما يَحْدُثُ . ومَا سَيَحْدُث ؟ لَقَدْ أَصْبَحْتُ خائِناً في نَظَرِ شَعْبي ، وأنا في نَظَرِ ٱلآخَرِينَ عَدُوٌّ لَدود .

أمضى أيّاماً يُصَلّي مِنْ أعْماقِ قَلْبِهِ لِيَحْفَظَ ٱللهُ سُكّانَ ٱلبِلادِ ٱلآمِنَةِ ، ويَرْعى أبْناءَ وَطَنِهِ ، فَيَحولَ دونَ هَلاكِهِمْ . وَبَعْدَ مُرورِ ثَلاثَةِ أَسابيعَ سَمِعَ مُسالِم جَلَبَةَ ٱلجَيْشِ ٱلعائِدِ ، وَعَرَفَ أنَّ أَخاهُ قَدْ رَجَعَ عَنْ عَزْمِهِ بَعْدَ إخْفاقِهِ في ٱلعُثورِ على مَدْخَلِ ٱلنَّفَقِ ، وَعَجَزَ مَعَ جُنودِهِ عَنْ تَسَلُّقِ ٱلجِدارِ ٱلصَّخْرِيِّ . فَٱرْتَدَّ مَعَ رِجالِهِ إلى ٱلوراءِ ساخِطاً على أَخيهِ ٱلمُتَقاعِسِ عَنْ مُساعَدَتِهِ . وَمَعَ ذلِكَ فَإنَّ ٱلغِبْطَةَ قَدْ غَمَرَتْ نَفْسَ مُسالِم ، فَخَرَجَ مِنَ ٱلقَصْرِ ، مَعَ عَدَدٍ مِنْ رِجالِهِ ، وَساروا في ٱلبَرِّيَّةِ ، إلى أَنْ وَصَلوا إلى أَحَدِ ٱلتِّلالِ فَبَنَوا فَوْقَهُ قَصْراً

صَغيراً وَحرَثوا ٱلْأَرْضَ في ٱلسُّهولِ ٱلقَريبَةِ وَزَرَعوهـا وأَنبَتوا ٱلْحُبوبَ وَٱلأَشْجارَ ، وَرَبَّوا ٱلماشِيَةَ ، وَعاشوا في سَلامٍ ، يأْكُلونَ مِن كَـدِّ يَدِهِمْ وَعَرَقِ جَبينِهِمْ .

جبل الشّمس

اقْتِسامُ ٱلْإِرْثِ

في قَديمِ ٱلزَّمانِ كانَ أَخَوانِ يَعيشانِ مَعاً في بَيْتٍ واحِدٍ مَعَ والِدِهِما . كانَ ٱلْأَكْبَرُ بَخيلاً ، طَمّاعاً ، يُريدُ ٱلتَّفَرُّدَ وَحْدَهُ بِميراثِ أَبيهِما ، فَلا يُشارِكُ فيهِ أَخاهُ ٱلْأَصْغَرَ . وَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبوهُما عَمَدَ إِلى ٱلْحيلَةِ لِيَسْتَأْثِرَ بِٱلْمالِ وَٱلْأَرْضِ ، فَقالَ لِأَخيهِ :

— حانَ ٱلْوَقْتُ لِنَقْتَسِمَ تَرِكَةَ والِدِنا . فَلْنَنْهَضْ صَباحَ غَدٍ باكِراً ، وَلْنَذْهَبْ لِنَحْرُثَ ٱلْحَقْلَ وَنَقْلِبَ أَرْضَهُ . فَمَنْ حَرَثَ أَكْثَرَ مِنَ ٱلْآخَرِ يَأْخُذُ كُلَّ ٱلميراثِ وَحْدَهُ ، شَرْطَ أَنْ نَقومَ بِعَمَلِنا وَنَحْنُ صائِمانِ لِنَتَأَكَّدَ مِنْ أَيِّنا

أَقوى عَلى تَحَمُّلِ ٱلْمَشاقّ .

أَصْغى ٱلْأَخُ ٱلْأَصْغَرُ إِلى ٱقْتِراحِ أَخيهِ ، وَوافَقَهُ ، كَعادَتِهِ في كُلِّ مَرَّةٍ ، عَلى ما طَلَب . وَفي صَباحِ ٱلْيَوْمِ ٱلتَّالي ٱسْتَيْقَظَ ٱلْأَخُ ٱلْأَكْبَرُ قَبْلَ ٱلْأَصْغَرِ ، وَتَناوَلَ فَطوراً دَسِماً أَعَدَّتْهُ لَهُ زَوْجَتُهُ ، ثُمَّ نَبَّهَ أَخاهُ مِنَ ٱلنَّوْمِ ، مُخْفِياً عَنْهُ أَنَّهُ أَكَلَ سِرّاً ، وَقالَ لَهُ :

ــ ها قَدِ ٱسْتَيْقَظْنا مَعاً ، فَلْنَذْهَبْ حالاً إِلى ٱلْعَمَل .

ذَهَبا إِلى ٱلْحَقْلِ ، وَأَخَذَ كُلٌّ مِنْهُما يَحْرُثُ ٱلْأَرْض . وَعَمِلَ ٱلْأَخُ ٱلْأَكْبَرُ بِهِمَّةٍ وَنَشاطٍ ، في حينِ أَنَّ ٱلْأَصْغَرَ ٱشْتَغَلَ بِبُطْءٍ وَتَعَبٍ لِأَنَّهُ خاوي ٱلْمَعِدَةِ ، ما تَناوَلَ شَيْئاً مِنَ ٱلطَّعامِ مُنْذُ مَساءِ أَمْس . وَهٰكَذا لَمْ يَتَوَصَّلْ إِلى مُجاراةِ أَخيهِ ، بَلْ قَصَّرَ عَنْهُ ، وَفَقَدَ كُلَّ ٱلْميراثِ ، وَٱسْتَأْثَرَ أَخوهُ ٱلْأَكْبَرُ بِٱلتَّرِكَةِ كامِلَة .

حَديثُ ٱلهُدْهُد

لَمْ يَبْقَ لِلأَصْغَرِ بَيْتٌ يَسْكُنُهُ ، وَلا حَقْلٌ يَفْلَحُهُ وَيَزْرَعُهُ ، وَلا شَجَرَةٌ يَأْكُلُ مِنْ ثِمارِها ، فَغادَرَ بَيْتَ والِدِهِ ، وَتَوَجَّهَ نَحْوَ ٱلْجِبالِ حَيْثُ عاشَ في إِحْدى ٱلمَغاوِرِ، مُرْتَزِقاً مِنْ قَطْعِ ٱلحَطَبِ وَبَيْعِهِ في ٱلْقُرى ٱلْمُجاوِرَة .

بَيْنا كانَ يَوْماً مُتَوَجِّهاً إِلى ٱلْغابَةِ لِلاحْتِطابِ أَبْصَرَ بِعُشِّ هُدْهُدٍ في أَغْصانِ شَجَرَة . فَحاوَلَ إِسْقاطَ ما فيهِ مِنْ صِغارِ ٱلفِراخِ بِقَضيبٍ طَويلٍ ، فَإِذا بِٱلْهُدْهُدِ يَخْرُجُ مِنَ ٱلعُشِّ وَيَقولُ لَهُ :

— لا تَهْدُمْ بَيْتي ، وَلا تُؤْذِ صِغاري ، فَأُكافِئَكَ عَلى مَعْروفِكَ بِأَنْ أَدُلَّكَ عَلى كُنوزِ جَبَلِ ٱلشَّمْس .

قالَ ٱلْحَطّابُ حَذِراً :

ــ أيَّ كُنوزٍ تعني ؟

ــ تعالَ غداً إلى هُنا عِندَ ٱلْفَجْرِ ، وَٱحْمِلْ مَعَكَ كيساً صَغيراً وَعِندَئِذٍ أَذْهَبُ بِكَ إلى مَوْضِعِ ٱلْكَنْزِ ، وَتَراهُ بِعَيْنَيْكَ وَتَأْخُذُ مِنْهُ حاجَتَكَ .

في ٱلْغَدِ ٱلْباكِرِ ، عِنْدَ تَباشيرِ ٱلصَّباحِ ، حَمَلَ ٱلْحَطّابُ كيساً صَغيراً وَذَهَبَ بِرِفْقَةِ ٱلْهُدْهُدِ نَحْوَ جَبَلِ ٱلشَّمْس . وَلَمَّا بَلَغا ٱلْقِمَّةَ وَنَظَرَ ٱلرَّجُلُ حَوْلَهُ لَمْ يُصَدِّقْ عَيْنَيْهِ . رَأى أَمامَهُ ، وَعِنْدَ قَدَمَيْهِ ، كَوْماتٍ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْأَلْماسِ وَٱللُّؤْلُؤِ وَجَميعِ أَنْواعِ ٱلْحِجارَةِ ٱلْكَريمَةِ . فَجَمَعَ مِنْها ما يَسَعُ كيسُهُ ، وَشَكَرَ لِلْهُدْهُدِ فَضْلَهُ وَعادَ مِنْ حَيْثُ أَتى .

ٱنْتِقامُ ٱلشَّمْس

غادَرَ ٱلْحَطّابُ ٱلْمَغارَةَ ٱلَّتي يَسْكُنُها ، وَٱشْتَرى بِقِسْمٍ

مِنْ ثَرْوَتِهِ بَيْتاً جَميلاً جِدًّا قُرْبَ جَدْوَلِ مـاءٍ ، وَمَلأَهُ بِٱلرِّياشِ ٱلْفَخْمِ ، وَعاشَ فيهِ مُرْتاحَ ٱلْبالِ سَعيداً . وَٱمْتَلَكَ حَقْلاً وَسيعاً خَصِباً فَزَرَعَهُ بِأَنْواعٍ شَتّى مِنَ ٱلْأَشْجارِ ٱلْمُثْمِرَةِ ، وَبَذَرَهُ بِٱلْحُبوبِ ، وَلا سِيَّما بِٱلْأَرُزِّ .

سَمِعَ ٱلْأَخُ ٱلْأَكْبَرُ بِأَخْبارِ أَخيهِ ، وَعَرَفَ كَيْفَ أَصْبَحَ غَنِيًّا ، فَتَحَرَّقَ حَسَداً ، وَحَمَلَ عَصاهُ ، وَتَوَجَّهَ إِلى ٱلْغابَةِ في ٱلْجَبَـلِ . وَهُناكَ أَخَذَ يَضْرِبُ عُشَّ ٱلْهُدْهُدِ لِيُسْقِطَهُ أَرْضاً . فَأَطَلَّ ٱلطّائِرُ مِنْ عُشِّهِ وَرَجاهُ ٱلْكَفَّ عَنْ أَذِيَّتِهِ ، وَوَعَدَهُ بِأَنْ يَذْهَبَ مَعَهُ غَداً إِلى جَبَلِ ٱلشَّمْسِ إِذا تَوَقَّفَ عَنْ هَدْمِ بَيْتِهِ ، وَٱلْإِضْرارِ بِفِراخِهِ ، وَقالَ لَهُ :

ـ إِنْتَبِهْ جَيِّداً إِلى ما أَقولُ لَكَ : لا تَحْمِلْ مَعَكَ إِلاَّ كيساً صَغيراً يَتَّسِعُ لِكَيْلٍ واحِدٍ مِنَ ٱلْأَرُزِّ .

فَكَّرَ ٱلْأَخُ ٱلْأَكْبَرُ في نَصيحَةِ ٱلطّائِرِ وَقالَ في نَفْسِهِ



إنَّ مِثْلَ هذا ٱلكيسِ صَغيرٌ جِدًّا ، لِذلِكَ ما وَصَلَ إلى بَيْتِهِ حَتّى طَلَبَ مِنْ زَوْجَتِهِ أَنْ تَخيطَ لَهُ كيساً في غايَةِ ٱلِاتِّساع . وَعِنْدَ ٱلفَجْرِ تَوَجَّهَ مَعَ ٱلْهُدْهُدِ إلى مَوْضِعِ ٱلكَنْز . وَما أَبْصَرَ أَكْوامَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْأَلْماسِ وَٱللُّؤْلُؤِ وَٱلْحِجارَةِ ٱلكَريمَةِ حَتّى فَقَدَ ٱتِّزانَهُ ، وَأَخَذَ يَضَعُ في كيسِهِ كُلَّ ما وَصَلَتْ إلَيْهِ يَداه . غَيْرَ أَنَّ ٱلكيسَ كانَ كَبيراً جِدًّا ، فَبَدَأَتِ تَباشيرُ ٱلصُّبْحِ تَلوحُ وَٱلرَّجُلُ ما يَزالُ مَشْغولَ ٱلبالِ بِجَمْعِ أَكْبَرِ كَمِّيَّةٍ مُمْكِنَة . فَقالَ لَهُ ٱلْهُدْهُد :

ــ لِنُسْرِعْ بِٱلذَّهابِ أَيُّها ٱلرَّجُلُ وَإِلّا فَٱلشَّمْسُ سَتَظْهَرُ بَعْدَ قَليلٍ وَتُحْرِقُكَ !

لَمْ يُصْغِ إلى نَصيحَةِ ٱلطّائِرِ ، بَلْ ظَلَّ مُجِدًّا في جَمْعِ ٱلْحِجارَةِ ٱلكَريمَةِ يَحْشو بِها كيسَه . وَأَلَحَّ عَلَيْهِ ٱلْهُدْهُدُ

بِٱلْهَرَبِ ، وَلٰكِنَّهُ ظَلَّ مُعانِداً يُكَدِّسُ ما يَقَعُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَمْلَأُ بِهِ كيسَهُ وَجُيوبَهُ ، إلى أَنْ طَلَعَتِ ٱلشَّمْسُ ، وَأَبْصَرَتْ بِهٰذا ٱلرَّجُلِ ٱلطَّمّاعِ يَسْرِقُ ثَرْواتِ جَبَلِها فَأَحْرَقَتْهُ وَحَوَّلَتْهُ إلى قِطْعَةٍ مِنَ ٱلْفَحْمِ .

يَقـــولُ ٱلْمُتَقَدِّمونَ في ٱلْعُمْرِ إِنَّ ٱلشَّمْسَ لا تَظْلِمُ ٱلْإِنْسانَ ٱلصّادِقَ ٱلْقَنوعَ ، بَلْ تُدَفِّئُهُ وَتُعْطيـــهِ جُزْءاً صَغيراً مِنْ ذَهَبِها . غَيْرَ أَنَّها تَثورُ وَتُحْرِقُ بِأَشِعَّتِهـا كُلَّ بَخيلٍ طَمّاعٍ يُريدُ ٱلِاحْتِفاظَ لِنَفْسِهِ وَحْدَهُ بِأَمْوالِ ٱلْأَرْضِ .

مؤسسة جواد للطباعة والتصوير تلفون ٣٢٦٣٢٨ – ٣٧٢١٨٤
حارة حريك – لبنان

70

دار شهرزاد

- نقلت «شهرزاد» القراء الى عالم سحري مليء بالعجائب والغرائب وزارت معهم البلاد والأقطار .
- وهذا ما تحمله «دار شهرزاد» اليوم اليكم ايها الصغار الذين تحبون الجديد والطريف والجميل .

حكايات شهرزاد

١ ـ الدجاجة البيضاء
٢ ـ الامير بهلول
٣ ـ مغامرات بشوش
٤ ـ الغابة المسحورة
٥ ـ هبلان
٦ ـ هزيمة التنين
٧ ـ الارنب مامبو
٨ ـ مسرور ونبتة الحياة
٩ ـ جوقة الحمار
١٠ ـ اميرة النحل
١١ ـ المغامرون
١٢ ـ رهوان القنوع
١٣ ـ الهر الذكي
١٤ ـ بنانه
١٥ ـ الاخوة الماهرون

الاساطير

١ ـ شيخ الجبل
٢ ـ سلطان باتان
٣ ـ تماري والاوزات السبع
٤ ـ الفانوس السحري
٥ ـ بلاد السلام
٦ ـ تفاحة الذهب
٧ ـ خوانو الشجاع
٨ ـ ين سو
٩ ـ سر الغابة
١٠ ـ الهندي النحات

حكايات جدتي

١ ـ ليلى ذات القبعة الحمراء
٢ ـ العزاة وصغارها
٣ ـ الدببة الثلاثة
٤ ـ فتاة الغابة
٥ ـ القزم الفهيم
٦ ـ انتصار الحمار
٧ ـ المرآة السحرية
٨ ـ ام الرماد
٩ ـ الامير السعيد
١٠ ـ الدب الوفي
١١ ـ بيت الساحرة
١٢ ـ حكاية تمثال
١٣ ـ جلد الحمار
١٤ ـ كوكو ذو الضفيرة
١٥ ـ الزهرة المسحورة

تطلب من

دار العلم للملايين　　　مؤسسة نوفل


ARAB COMICS
عرب كوميكس
AC
www.arabcomics.net